المبحث الأول

اللغة الشعرية

تعد اللغة الشعرية (أعظم عنصر في صياغة القصيدة في الآداب الإنسانية جميعها، ففي أرضها تتجلى عبقرية الأداء الشعري، ومن لبناتها تبنى المعمارات الفنية التي تتآزر على إبداعها مجموعة عناصر نفسية وجمالية معقدة)[100].

وبناء على ذلك فإن اللغة في الشعر ليست وسيلة للتعبير عن أي شئٍ كما هو الحال بالنسبة للعلم، و إنما هي غاية في حد ذاتها. والشاعر المبدع هو الذي يستطيع استثمار خصائص و إمكانات لغته التي يعبربها بوصفها مادة بنائه، فعلاقة تجربة الشاعر بلغته أوثق من علاقة تجربة القاص أو مؤلف المسرحية، وذلك لأن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إيحاء يالمعاني التي يرمي إليها في لغته التصويرية الخاصة به[101].

ولا نريد أن نطيل الحديث عن اللغة ودورها في صياغة العمل الأدبي والذي يعنينا هنا هو الوقوف على اللغة التي حملت تجارب شاعرنا الوطنية.

وإذا أمعنا النظر في اللغة التي جسد العلاف بواسطتها تجاربه الوطنية فإننا سنقف على تنوعها من حيث الشدة والجزالة، والرقة

والسهولة. ولعل السبب في ذلك التنوع الواضح في لغة الشاعر راجع لطبيعة الموضوعات التي عالجها، وتعدد المواقف التي عبر عنها. فهو في شعره الذي يستنهض فيه هم أبناء وطنه، ويحفزهم فيه على الإسهام الفاعل في النهوض بالوطن، وفي فخره و إشادته بما تحقق - بعد ذلك - من نهضة وتطوير، نجده يعتمد على ألفاظ جزلة قوية الجرس، قادرة على هزّ المتلقي هزّاً والتأثير فيه، وعكس ما يمور في وجدانه من مشاعر وأحاسيس وطنية صادقة.

ومن نماذج ذلك ما جاء في قوله مذكراً معاشر الشباب بحاجة وطنهم لهم في رحلته صوب المجد والرفعة، ومحذراً لهم من الخمول والكسل و إنفاق أوقاتهم في اللهو واللعب(102)

عَهْدُ اكْتمالٍ تَدَاعى فيه نُقْصانُ
مُهَدَّجُ النُّضْجِ فيه النَّشْءُ حيرانُ (103)
نِعْمَ الشَّبابُ طَمُوحُ النَّفْسِ يَحْفزُهُ
إلى الذُّرى خافِقٌ بالمجْدِ نَشْوانُ
يا أَيُّها النَّشْءُ خُوضُوا في دخائِلِكُمْ
وقَلِّبوها فإنَّ البَحْثَ مِعْوانُ
لا يُسْعِدُ النَّفْسَ أَمْرٌ مثل خِبْرَتِها
بِذاتِها: إنَّها لِلنُّجْحِ عُنْوانُ
أرى خُمولاً و ضَعْفاً في عزائِمِكم
أرى اضطِراباً ويَشْكو البُؤْسَ عِرفانُ

بلادُكم تَبْتغي شَتَّى مَرافِقِها
وعيـاً يُعانِقُهُ عَزْمٌ و إتقانُ
وليس يُقْنِعُها فَرْدٌ كَفاءتُهُ
شَهادةٌ مالها في النَّفْسِ بُرهانُ
لاتَهْدِروا الوَقْتَ وارعوا حَقَّ حُرْمتِهِ
فَعَصْرُكُمْ سُرْعَةٌ والبُطْءُ خِذْلانُ
لَتُسْأَلُنَّ عن الأيامِ مُدْبِرةً
متى احتواكم من الأعمالِ ميدانُ

فالعلاف يسعى في هذه الأبيات إلى إشعال فتيل همم شباب وطنه، ودفعهم إلى العمل الجاد، واستثمار طاقاتهم ومواهبهم، وتسخيرها فيما يعود عليهم بالفائدة والذكر الحسن. وجميعها معاني قوية تتطلب ألفاظاً وتراكيب تلائمها، وقد وفق كثيراً في الاعتماد على طائفة من الألفاظ القادرة على حمل معانيه تلك وتوصيلها، ومن ثم إحداث الهزة التي سيفيق على إثرها شباب وطنه من غفلتهم، وليس أدل على ذلك من الألفاظ (مهدَّج، النضج، طموح، الذرى، بالمجد، خوضوا، النُّجُح، اضطراباً، لاتهدروا ....).

فهي ألفاظ فخمة، قوية الجرس، تقرع سمع المتلقي قرعاً، وهي بعد ذلك قادرة على أداء دورها الدلالي في أبهى صوره، وتتلاءم مع طبيعة الموقف الذي عبر عنه الشاعر.

وتزول تلك القوة وتختفي في كثير من شعره الذي دار حول التغنى ببعض مدن وطنه ومظاهر الجمال فيه، أو الذي دار حول تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لدى شباب وطنه، وتعديل ما اعوج فيهم من سلوك.

ومن نماذج استخدامه الألفاظ السهلة الرقيقة، قوله مجسداً ما يتمتع به (الشَّفا) من مناظر وأجواء آسرة، تبعث الراحة في النفوس، والبهجة في الأحداق[104]:

ويَومٍ بالشَّفا حُلْوِ الشِّفاءِ
تَلَقَّانا بمختلفِ الهَنَاءِ[105]
لجَأْنا من تهامةَ نَرْتَجيهِ
فأَهْدانا مجاورةَ السَّماءِ
وشَذَّ ربيعُه في الصَّيفِ حتى
تَميَّزَ باللَّطافَةِ والصَّفَاءِ
ترى أنفاسَهُ في الصَّخْرِ تَسْري
فَتُنْعِشُهُ وَ يْجهَرُ بالنَّماءِ
كأنَّ الشَّمْسَ فيه على حَياءٍ
تَمُرُّ و عَكْسُها بَدْرُ الوفاءِ
وللأَطْيارِ والأعْنابِ نَجْوى
مُحمَّلَةٌ بأَشواقِ الشِّتاءِ

وللغـــابات سِـــحـْـرٌ ذو جـــلالٍ

كـــألْـويةٍ تَرامَـــتْ في الفَـضَـــاءِ

فالألفاظ التي حفلت بها هذه الأبيات تكاد تهمي رقة وسلاسة وعذوبة، وهي ملائمة أشد ما تكون الملاءمة لجمال ورقة الأجواء التي عني الشاعر بالتعبير عنها وتجسيدها، وللقارئ أن يصغي لوقع الألفاظ (الشفاء، الهناء، أهدانا، السماء، ربيعه، اللطافة، الصفاء، أنفاسه، تسري، حياء، نجوى، أشواق، سحر ....)

فجميعها ألفاظ سهلة، رشيقة الجرس، قادرة على تجسيد الأجواء الفاتنة التي تميز(الشَّفا) عن غيره، و الإيحاء بها .وفي الوقت ذاته عكست مشاعر البهجة والسعادة التي يحسها العلاف -وغيره -عندما تقوده خطاه إلى ذلك المكان.

وفي تصديه لداء الكبر ممثلاً في أحد المتجلببين به من أبناء وطنه، نجده يعتمد على ألفاظ سهلة مألوفة قادرة على الوصول إلى ذلك المتكبر والتأثير فيه. حيث يقول (106):

أَخِـي مَنْ أنْـتَ خَـبِّـرْني

فَـفَـضْـلُـك كُنْـهُـهُ سِـرٌّ

ولا تَبْـــخَــلْ بتَـرْجَـــمَـةٍ

على مَـنْ عَــجْـزُهُ عُــذْرُ

ولا تَحْسَبْ مُناشَدَتي
بيانَكَ أنَّها مَكْرُ
وأنَّ غَبَاوتي زَيْفٌ
به يَتَسَتَّرُ الخُبْرُ
وسامِحْني على جَهْلي
بِقَدْرِكَ أيُّها الوِتْرُ
ولا ضَاقَتْكَ خاطِرَةٌ
لِسُوءِ الظَّنِّ تَضْطَرُّ

فالألفاظ (أخي، خبرني، كنهه، سر، لا تبخل، عذر، مناشدتي، مكر، زيف، يتستر، سامحني، جهلي...) تتسم بالسهولة والألفة، وقد وفق العلاف باعتماده عليها في التواصل مع ذلك المتكبر وأبناء وطنه قاطبة. وواضح أن العلاف قد أدرك بأن التصدي لبعض الأدواء والعيوب الاجتماعية، وتصحيح المعوج من السلوك والقيم، يحتاج من الشاعر أن يخاطب قارئه بألفاظ لاتغرب عن ذوقه وعصره الذي يعيش فيه، ولا تمجها نفسه لوعورتها وغرابتها.

إلاَّ أن ذلك الحرص من العلاف على الاقتراب من أبناء وطنه قد مهد السبيل لتسلل بعض الألفاظ والعبارات الشائعة التي فقدت وهجها إلى نسيجه الشعري. وقد ترتب على ذلك اصطباغ عدد من قصائده الوطنية بالتقريرية والمباشرة [107].

ومن النماذج التي يمكن الاستشهاد بها على ذلك قصيدته (أعماق العروسين)، ومنها قوله[108]:

جَمالُها فَوقَ عادِيٍّ يُرَشِّحُها
مع العفافِ لِدُنيا لا تُحَابيها
وظيفَةٌ لاكْتِسابِ العَيشِ دارِجَةٌ
أَوْ خاطِبٌ مِثْلَها قد رقَّ تشبيها
من قبلِ عِشْرين والأحْلامُ وافرةٌ
يقْظى تُشَاغِلُها قد جَاءَ هاويها
ما كان فارسُ أحلامٍ يُحَقِّقُها
كما اشْتَهَتْ كُلُّ أنثى في تَمنِّيها
هو الفتى يبْتَغِي صَوْناً لِبَيْضَتِها
مَقْبولُ شَكْلٍ و يَرْجُوحَظَّهُ فيها
ووضْعُهُ كُلُّهُ لاعيبَ يُزْعِجُهُ
إلاَّ التواضعَ من بُؤْسى يُواريها

ففي هذه الأبيات سهولة مفرطة، جاءت من نوعية العبارات والتراكيب التي اعتمد عليها الشاعر، و للقارئ أن ينظر في التراكيب التي احتشدت بها الأبيات السابقة، من مثل (جمالها فوق عادي، وظيفة لاكتساب العيش، مقبول شكل، يرجو حظه فيها، ووضعه كله لاعيب يزعجه ...) فجميعها تراكيب وعبارات فقدت

وهجها الشعري من جراء استخدامها وشيوعها بين الناس في حياتهم اليومية، ولم يوفق الشاعر في ضخ الحياة فيها حتى تكتسب أبعاداً جمالية قادرة على التأثير في وجدان المتلقى، وكل الذي استطاعته هو توصيل المعنى الذي قصده لا غير، وبذلك تخرج من دائرة الشعر إلى دائرة النظم البارد والنثر الركيك الخالي من الانفعال والإيحاء والتصوير.

إن حرص العلاف في عدد من قصائده الوطنية على الاقتراب من أبناء وطنه، والوصول إلى أكبر شريحة منهم، صبغها بالتقريرية والمباشرة، لافتقادها جل العناصر التي ينهض عليها الشعر، ويكتسب في ظل توافرها صفته الفنية. وسبب ذلك -كما أرى - تعامله مع اللغة في تلك النصوص على أنها وسيلة لتوصيل أفكاره، أي باعتبارها ذات بعد واحد هو الدلالة على معناها المعجمي أو الاصطلاحي، وأغفل أن الألفاظ ليست رمزاً يشير إلى فكرة ومعنى فحسب، و إنما هي قبل ذلك (نسيج متشعب من صورة ومشاعر أنتجتها التجربة الإنسانية، وبثت في اللفظة فزادت معناها خصباً وحياة ....)[109].

وهناك ظواهر لغوية وأسلوبية بدت واضحة للعيان في شعره الوطني، وهذه الظواهر تتمثل في:

1- التكرار

من الوسائل اللغوية التي جنح إليها الشعراء المعاصرون في التعبير عن تجاربهم الشعورية التكرار. وهذا لا يعني أن الشعراء القدماء لم يفطنوا إليه، بل قد ورد في أساليب كثير منهم، إلاَّ أنه لم يشكل ظاهرة تسترعى الانتباه.

وقد أشار إلى وروده في الشعر العربي القديم بعض النقاد القدماء، كأبي هلال العسكري[110] وابن رشيق القيرواني[111].

وفي العصر الحديث أغرم الشعراء بالتكرار، وكثر وروده في شعرهم، حتى (جاءت على أبناء هذا القرن فترة من الزمن، عدوا خلالها التكرار في بعض صوره، لوناً من ألوان التجديد في الشعر) [112] وتبع ذلك الاهتمام من الشعراء بالتكرار اهتمام من بعض النقاد والدارسين فتناولوه محاولين تحري أشكاله ودلالاته، كنازك الملائكة[113] وهلال ناجي[114].

وشعر العلاف الوطني حفل بألوان عدة للتكرار، إلاَّ أنها لا تتجاوز التكرار البسيط الذي يدل على إلحاح فكرة ما على ذهنه، وتأكيده عليها بواسطة التكرار.

والتكرار في شعر العلاف الوطني شمل تكرار الحروف، وتكرار الكلمات، وتكرار الصيغ والأدوات.

ونبدأ حديثنا بتكرار الحروف الذي يعد أبسط أنواع التكرار على الإطلاق، وقد استخدمه العلاف لخدمة بعض أغراض القصيدة وأفكارها. ومن نماذج تكراره بعض الحروف، ما جاء في قوله[115]:

وَيْحَ نَفْسِي متى أراها تَزَيَّتْ
بِاكْتِفاءٍ يَحُفُّهُ التَّصْدِيرُ
واسْتَحالَ الفراغُ منها امتلاءً
وكساها بِحُسْنِهِ التَّعْمِيرُ
واسْتَقامَتْ مَسَالِكٌ و مُرورٌ
وتَرَامى بِظِلِّهِ التَّشْجِيرُ
وغدا القَفْرُ مُشْبعاً باخْضِرارٍ
خالفٍ بَعْضُه رَواهُ النَّمِيرُ
والمواشِي تُزِينُه مُطْلقاتٍ
في مَراعٍ متاعُها إكْسِيرُ
وجِبالُ السَّراةِ تِبْرٌ وزِنْكٌ
وحَدِيدٌ يَشُوبُهُ القِصْدِيرُ
وكُنوزٌ خَفِيةٌ حَضَنَتْها
باعْتِزازٍ مِصانِعٌ لا تَبورُ
تَوَّجَتْها مَصَائِفٌ ورِياضٌ
تَتَغَنَّى على رُؤَاها الطُّيورُ

فقد تكرر حرف العطف (الواو) في هذه الأبيات ثلاثة عشر مرة، ولهذا التكرار ما يسوغه، فالشاعر يطمح إلى تحقيق نهضة شاملة تضع وطنه جنباً إلى جنب مع الأوطان التي سبقته أشواطاً طوالاً في طريق التقدم والنهوض، وتكفل للمنتمين إليه حياة حافلة بالاستقرار والرخاء والراحة. وقد أتاح له تكرار حرف العطف (الواو) حشد كثير من المشاريع التنموية التي يفتقر إليها الوطن، وبتوافرها مجتمعة يكون قد خطا خطوات واسعة في طريقه نحو التقدم والنهوض.

والأبيات السابقة حملت في حناياها حب العلاف لوطنه وحرصه على نهضته وتقدمه، ومعرفته بالخيرات الوفيرة التي تكتنزها أراضيه، والتي بمقدورها - متى ما استثمرت - تحقيق كل ما يطمح إليه الوطن و المواطن.

ويكرر عدداً من الحروف في قصيدته (أم القرى)[116]:

اخْتَرْتُ مَكَّةَ وار تَضَيتُ حِماها
هي مَوْلدي هي مَنْشأي أهْواها
أَكْرِمْ بها و بِأَرْضِها و سَمَائِها
وبِماءِ زَمْزَمَ ناجِعاً غَذَّاها
وبما اصطَفَتْ من قِبْلةٍ مَيمُونَةٍ
جَذَبَتْ قُلوباً حَوْلَها وجِباها

فالعلاف في البيتين الأخيرين كرر حرف الجر (الباء) أربع مرات، وهذا التكرار قد سهل للشاعر استيفاء جميع الأشياء التي مكنت هوى مكة المكرمة من التغلغل في حناياه، وجعلتها أثيرة عنده، بحيث لا يرى ولا يعشق سواها.

ومن التكرار في شعر العلاف الوطني تكراره لكلمة واحدة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متوالية وغير متوالية في قصيدة واحدة. ومن نماذج ذلك ما جاء في قوله من قصيدته (عودة المجد)[117]:

شِبْهَ الجَزِيرةِ صَحَّتْ منكِ أَحْلامُ
تَفاءَلَ العُرْبُ، بَلْ واعْتَزَّ إِسلامُ
بُشْراكِ مُسْتَقْبلٌ قد هَبَّ حاضِره
يُصْبِيهِ عَزْمٌ وتَخْطِيطٌ و إِقْدامُ
بُشْراكِ تَعْبِئَةٌ بُشْراكِ تَنْمِيةٌ
جُرْدُ الصَّحاري بها زَرْعٌ و أَنْعامُ
بُشْراكِ لِلبَحرِ تكريرٌ و غَلْغَلةٌ
إلى كُنوزٍ عليها العِلْمُ نمَّامُ
بُشْراكِ أَنْديةٌ لَذَّتْ مباهِجُها
راجَتْ مناهِجُها وامْتدَّ إِعْلامُ
بُشْراكِ دُورٌ و ساحاتٌ مُشَجَّرةٌ
وقد تَبيَّتَ لِلحِرمانِ إِعْدامُ

بُشْـراكِ في طرقٍ شـتَّى معـبدةٍ
هي الشــرايينُ والوديانُ أَرْحــامُ

فالشـاعر في هذه الأبيات كرر كلمة (بشراك) سبع مـرات، وقد كـررها في ثلاثة أبيـات متـوالية، ثم عـاد ليكررها بعـد فـاصل من الأبيـات، وفي كل مـرة يتـبـعـهـا بأحـد المشـاريع التنمـوية والصـروح الحضارية التي أخذت في الظهور على أراضي وطنه.

وهو من خـلال هذا التكرار يهنئ وطنه الذي انتظر كثيـراً رؤية مثل هذه الصروح الحضـارية تـزين أراضيـه، وتنشر الرخاء فيه.

وقد أتاح له تكرار كلمـة (بشـراك) تجسيد مظاهـر النهضة التي يعيشـها وطنه مظهـراً مظهراً، حتى يسلم بها من كان يرى تحقيـقها مسـتحيـلاً، والتعبيـر عن الفرحـة والسـعادة التي أشاعتها في عـالمه تلك المشاريع و الإنجازات المتعددة.

ويكـرر الفـعـل (أرى) مسـبـوقاً بـ (واو) العطـف خمس مـرات في ثلاثة أبيات متوالية، في قوله(118):

إنِّـي أَرَى أَرْضَ الجَـزيرَةِ ضَـاعَفَتْ
عُلْيـا المداخِـنِ والمعـادِنُ تُصْـهـرُ
وأَرَى الثَّقيلَ من الصِّنّاعـةِ مُرْدَفـاً
بخـفـيفـهـا و أرى السِّـلاحَ يُزَمْـجِـرُ

وأرَى الصَّواريخَ العِظامَ تَفاوتَتْ
أَبْعادُها وأرى الكواكبَ تُغْمَرُ

فتكرار الفعل (أرى) فيه تأكيد للنهوض و التقدم الذي يشهده وطنه في مختلف الميادين و المجالات، وفيه استشراف لما يحمله الغد في حناياه لهذا الوطن الذي يغذ السير نحو المعالي. وقد مكنه هذا التكرار من تجسيد ما يراه ماثلاً أمام عينيه من صروح حضارية - تنموية و أمنية - ينعم بها وطنه والمنتمون إليه .

إن نماذج تكرار الكلمة - اسماً كانت أو فعلاً - في وطنيات العلاف كثيرة ولا يمكن إثباتها جميعاً، لذلك نكتفي منها بالنموذجين السابقين على سبيل المثال لا الحصر[119].

ويحرص العلاف في شعره الوطني على تكرار بعض الصيغ و الأدوات، ومن نماذج ذلك ماجاء في قوله[120]:

وَيْحَ نَفْسي متى أراكَ حَفِيّاً
بِنُبُوعٍ يُكِنُّ أَسْنى الهِبَاتِ
ومتى الفَنُّ والعُلومُ جميعاً
تَتَلقَّى عدالةَ اللَّفتاتِ
ومتى المكتباتُ تُبنى وتَغْنَى
بِتُراثٍ يُشِيعُ خَيْرَ الصِّفاتِ

ومتى تسمُقُ المداخِنُ شَتَّى
كَبنَانٍ تُشيرُ للنهَّضاتِ
ومتى تُكْمَشُ الكسالةُ و العَجْـ
ـزُ و تنمو أصائِلُ القُدُرات
ومتى تلتقي الجماعةُ والفر
دُ لقاءً مُوَحَّدَ الغاياتِ
ومتى تَكْثرُ النَّزاهةُ و الصِّد
قُ و تَسْخو عواطفُ التَّضحياتِ
ومتى يَسْعدُ الصِّغارُ ببيتٍ
يَتَحَلَّى بحكمةِ الأُمهاتِ
ومتى تُفْصِحُ الرُّبوعُ جَمالاً
ونِظاماً مضاعَف الحسناتِ
ومتى يصبحُ الفراغُ رَبيعاً
يُخْصِب النَّفْسَ ساحرَ اللمسَاتِ
يَتَحَدَّى الملالَ و الضِّيقَ مُدّاً
ويُنَجِّي الشَّبابَ من عثراتِ

فالعلاف هنا كرر أداة الاستفهام (متى) عشر مرات، متبعاً إياها في كل مرة بأمنية أو بمجموعة من الأمنيات التي يطمح إلى رؤيتها وقد تحققت في وطنه، وقد تنوعت تلك الأمنيات ما بين مادية و معنوية، وفي الوقت نفسه يوحي تكراره ذاك

بالحالة التي كان عليها وطنه، والصورة التي يتمنى أن يراه وقد سما إليها.

والذي لاشك فيه أن تكرار الشاعر لأداة الاستفهام (متى) و التي خرجت عن معناها الأصلي لتفيد الاستبطاء قد ساعد العلاف على تلمس احتياجات وطنه و إبرازها، ووسع له دائرة التناول، ومكنه من لفت الأنظار إلى بعض العلل والأدواء التي تنخر في جسده، وجسد قوة وصدق عاطفته الوطنية المتأججة وسعيها الدؤوب إلى خير الوطن وتقدمه و ازدهاره[121].

إن نماذج تكرار الصيغ و الأدوات في شعر العلاف الوطني كثيرة، وفي هذا النموذج الذي قدمناه ما يغني عن استعراضها جميعاً[122].

2- الاستفهام

من الأساليب التي كثر ورودها في شعر العلاف الوطني أسلوب الاستفهام، وكثيراً ما يخرج الاستفهام عنده عن معناه الحقيقي: معنى الاستخبار أو طلب العلم بشيء مجهول، إلى معانٍ أخرى تفهم من السياق الذي وردت فيه.

وأكثر المعاني التي خرج إليها هذا الأسلوب في شعر العلاف الوطني تتمثل في: التعجب، والإنكار، والتوبيخ، والتمني، والاستبطاء.

والناظر في هذا الأسلوب في الشعر الذي درسناه يجده يتجلى في البيت والبيتين و الثلاثة في بعض القصائد، وقليلاً ما يسيطر على معظم أبيات قصيدة كاملة.

وقد نوع العلاف في استخدامه أدوات الاستفهام، وتبع ذلك تنوع في اتجاهاته الاستفهامية، عدا أبيات قليلة تظهر في بعض قصائده الوطنية لم تتنوع فيها الأداة. وهذا النوع قد يشعر معه المتلقي بشيءٍ من الرتابة، إلاَّ أنها سرعان ما تزول عند القارئ المتأمل، الذي سيقف على مرامي الشاعر البعيدة من وراء تكرار إحدى الأدوات دون إحداث تغيير فيها.

ومن نماذج تنويعه لأداة الاستفهام في بعض قصائده، ما جاء في قوله منتقداً داء الكبر ممثلاً في أحد المتصفين به[123]:

أَعَلِمْتَ أصْلَكَ من تُرابٍ أَبْخرا
أَعرفْتَ بِدْركَ كيف فيه تَطَوَّرا؟
أشَهِدْتَ أَنَّ العجزَ فيكَ بدايةً
ونهايةً و الضَّعْفُ لفَّكَ محورَا؟
فيمَ الغرورُ إذن وفيمَ تطاولٌ
أَظَنَنْتَ أَنَّ الحقَّ أَيْضاً سُخِّرا؟

فالعلاف في هذه الأبيات نوع في أدوات الاستفهام، فاستخدم (الهمزة) و (كيف) و (ما) الاستفهامية.

وقد خرج الاستفهام هنا عن معناه الأصلي (الاستخبار) ليفيد في البيتين الأولين الإنكار والتوبيخ لذلك الإنسان على سلوكه الشاذ وغير السوي. وفي البيت الأخير خرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليفيد التعجب من ظهور ذلك الإنسان بذلك المظهر رغم معرفته بحقيقته التي لا يستطيع دفعها و لا نكرانها في صدر البيت، والتهكم والسخرية في عجزه.

وقد عكس الاستفهام في هذه الأبيات نزعة الشاعر إلى الإصلاح والتوجيه ورسم معالم الطريق السوي لأبناء وطنه حتى يسلكوه ؛ درءً للآثار السلبية التي ستترتب على استشراء ذلك الداء في الوطن.

ويقول في نموذج آخر[124]:

فيمَ البقاءُ على الرُّكودِ نطيقهُ
و إلامَ عَيْشُ الخاملينَ إلاما؟
كيف السَّبيلُ إلى النُّهوضِ وشَأْنُنَا
حَجْزُ النُّقودِ نَرُصُّها أكواما؟
أو كيفَ يُرْجَى أن يعيشَ مُعَزَّزاً
من ليس يرفعُ للمصانعِ هَاما؟
ما بزَّنا الغربُ الفتىُّ ببأسهِ
لولا الصناعةُ لم يكن مِقداما

رُوَّاده قـــــــدراؤه ورعـــاَتُـــهُ

لم يُرْهـقِ الـرؤسـاءَ و الحُكَّامَـا

فـمتى يُسَلِّمُ بالحـقيقـةِ ذاهـلٌ

مُـتَـمَكِّنٌ يُزْجـي البِـلادَ أمـامـا؟

فـالتنويع في الأدوات الاسـتـفـهـامـيـة هنا ظاهـر، فـهناك (مـا) الاستفهامية، و (كيف) و (متى). والشـاعـر من وراء الاستفهام الذي احتشـدت به الأبيات السـابقـة، يتـعـجب من قعود الأثرياء من أبناء وطنه عن المشـاركـة الفـاعلة بأمـوالهـم في النهـوض بوطنهم، وينكر عليهم ذلك. في الوقت الذي استطاع فيه الغرب أن ينهض ويتقدم، لا بفضل قادته وحكامه فحسب، و إنما بجهود الأثرياء من رجالاته.

ويقول في نموذج آخر[125]:

أيْنَ مِنْكَ الحَيَـاةُ دَقَّتْ شُـمـولاً

وَتَـرامَـتْ وَثِيـقَـــةَ الحلقـاتِ؟

فـالاسـتـفـهـام خـرج عن مـعناه الأصلي في هـذا البيت ليـفـيد التَّمني .

وفي قصيدته (رؤى المستقبل)[126] نقف على استخدامه لأداة الاستفهام (متى)، وقد تكررت عشـر مـرات. وقد خـرج الاسـتفـهـام فيها عن معناه الأصلي ليفيد الاستبطاء.

3- الأمر

من الأساليب التي كان لها حضور واسع في شعر العلاف الوطني أسلوب الأمر، ونماذج هذا الأسلوب العديدة تكشف عن حرص العلاف على التنويع في أساليب خطابه الشعري، وبث الحيوية في أوصال قصائده، وعن استخدامه له لدواعٍ بلاغية وليس في معناه الحقيقي: طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء.

وقد تنوع موقع هذا الأسلوب في قصائد العلاف الوطنية، فتارة يأتي في مطلع القصيدة، وتارة يأتي في وسطها. فهو عندما ينفعل بالتجربة وتمتلئ نفسه بها، يسقط كل الحواجز التي تقف بينه وبين المتلقي، من مقدمة وتمهيد، ويباشر بوحه، ويأتي به في وسط القصيدة لإثارة المتلقي وتنبيهه، دفعاً للرتابة والسأم الذي قد يجتاحه من جراء تواتر أسلوب واحد دون إحداث تغيير فيه.

والناظر في أسلوب الأمر الذي توافر في هذه الدراسة، يجد أن معظمه قد خرج عن معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية تفهم من السياق الذي ترد فيه. ومن نماذج اتكائه على هذا الأسلوب، ماجاء في قوله(127):

قُمْ وحَلِّقْ مُجنَّحَ العَزمات
وتَعَشَّقْ هزيمةَ العَقبات
و تَخَيَّرْ من الحضارةِ لُبّاً
عبقرياً مُنوَّعَ الثمراتِ

حَكِّمِ الدِّينَ و التَّجاربَ قَبْلاً
و تَشَبَّثْ بِمَنْطِقٍ و أناةِ

فالعلاف في هذه الأبيات قد استخدم أكثر من صيغة للأمر، فهناك (قُمْ) و(حَلِّقْ) و(تَعَشَّقْ) و(تَخَيَّرْ) و(حَكِّمْ) و(تَشَبَّثْ)، و جميعها خرج فيها الأمر إلى النصح و الإرشاد و استنهاض همم أبناء الوطن للمشاركة الفاعلة في الارتقاء بوطنهم و النهوض به، على أسس من صالح القديم، و ما توصل إليه العلم في العصر الحديث ولا يتعارض مع الدين، الذي هو الدعامة الأساس التي يعتمد عليها الوطن في طريقه نحو المجد والرفعة.

وفي نموذج آخر يقول مخاطباً شباب وطنه[128]:

لا تَهدِ رُوا الوقتَ وارْعوا حقَّ حُرْمَتِهِ
فعصرُكم سُرعةٌ و البطءُ خِذْلانُ
لَتُسْألُنَّ عن الأيامِ مُدبرةً
متى احتواكمُ من الأعمالِ مَيْدانُ
فاستمرئُوا الجدَّ واستَوْحُوا مواهبَكُمْ
فَإنَّ إعْفاءَها ظُلْمٌ و خُسْران
و لْتَتَّقُوا العُجْبَ والتَّوفيقُ رائدُكُمْ
ما للغرورِ على الآمالِ سُلطان

فالأبيات التي أمامنا تحتشد بعدد من صيغ الأمر، مثل: (ارعوا) و (لتسألن) و (فاستمرئوا) و (استوحوا) و (لتتقوا) و قد

خرج الأمر فيها إلى معاني النصح، والإرشاد، والحث، والتوجيه، ورسم معالم الطريق السوي لأبناء وطنه.

وقد عكست صيغ الأمر السابقة حرص الشاعر على شباب وطنه، و إيمانه بقدرتهم على الوصول بوطنهم إلى أقصى ما يطمح إليه، متى ما نجحوا في استثمار أوقاتهم و طاقاتهم.

وفي قصيدته (السلوك الأعوج) نقف على طائفة من صيغ الأمر في توجيهه لأحد المنتمين لوطنه[129]:

أخي إنْ شِئْتَ أنْ تَحْظى
بِسَهْمٍ في ارْتقاءاتِ
فصانِعْ وابْتغِ الزُّلْفى
بتكرارِ الزِّياراتِ
وأغْمِضْ عَيْنَكَ اليُسْرى
لأخطاءٍ و نَزْواتِ
وكُنْ نائياً مخارِجُهُ
معازِفُ لِلدِّعاياتِ
وكُنْ في الحَقِّ مُقْتَصِداً
وقَوْساً لِلرِّمايات
ومُغْتاباً و إمَّعَةً
تُصَفِّقُ لِلْحَماقاتِ

فالعلاف أورد في هذه الأبيات عدداً من صيغ الأمر، (صانعْ) و (ابتغِ) و(أغمض) و (كن). وقد خرجت هذه الصيغ عن معناها الأصلي لتفيد النصح و الإرشاد، الذي يحمل في حناياه معاني التهكم والسخرية من الحالة التي وصل إليها المجتمع في ظل تفشي داء المحاباة، الذي ترتب عليه حرمان الأكفاء والنابهين من أبناء الوطن من أبسط حقوقهم في الدوائر التي يعملون بها، و منحها لمن لا يستحقها، ممن لا يجيدون إلاَّ التملق و المداهنة والتدليس.

والعلاف عندما يهتم بتجسيد مثل هذه السلوكيات الخاطئة، فإنه يسعى إلى استئصالها، لمعرفته الأكيدة بخطرها الكبير الذي سيتجاوز الأفراد إلى الوطن و مصالح المنتمين إليه.

ومن المعاني التي خرج إليها أسلوب الأمر في شعر العلاف الوطني، الطلب، ويظهر ذلك في قوله مخاطباً الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله -[130]-:

فانْهَضْ بمَسْئولية آتاكَها
وعليكَ في نَشْرِ التُّراثِ مُعوَّلُ
وارْعِ النُّبوغَ و أعطهِ مَيدَانَهُ
فهو الطَّليعةُ والرِّكازُ الأولُ

فالصيغ: (فانهض) و (عليك) و (ارع) و (أعطه) خرج فيها الأمر إلى الطلب لأن الشاعر يخاطب فيها من هو أعلى منه مكانة ومنزلة.